المحقق آية الله الشيخ محمد السند

# التوسل

## عبادة توحيدية

به قلم محمد عيسى آل مكباس

بسم الله الرحمن الرحيم

# التوسل: عبادة توحيدية

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

سعيدبن جبير

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

الفهرس ----- ۵
التوسل: عبادة توحیدیة ----- ۷
اشارة ----- ۷
المقدّمة ----- ۷
توطئة ----- ۸
تقدیم ----- ۸
شبهة و إثارة ----- ۱۳
اشارة ----- ۱۳
أدلة القائلین بعدم جواز التوسل بغیر الله تعالی ... ص: ۲۵ ----- ۱۳
معنی الإله فی اللغة ----- ۱۳
وجه ان من الوسائط ما هو مأمور بها من قبل الله عزّ و جل ----- ۱۵
مفهوم العبادة ----- ۱۶
قصة آدم علیه السّلام مع إبلیس ----- ۱۷
نفی الوسائط یؤول الی التجسیم ----- ۱۸
الرد علی أدلة المانعین من التوسل ----- ۱۹
و نجیب علی هذا بما یلی: ----- ۲۱
ملامح من التوسل فی الشعائر العبادیة ----- ۲۲
موارد أخری فی التوسل ----- ۲۳
موارد عقلیة علی التوسّل ----- ۲۶
خاتمة فی التوسل ----- ۲۷
الوسائط مظهر قدرة البارئ ... ص: ۷۵ ----- ۲۷
مصادر البحث ----- ۳۰
فهرس المطالب ----- ۳۱

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۳۲

# التوسل: عبادة توحيدية

## اشارة

سرشناسه : سند، محمد، ۱۳۴۰-

عنوان و نام پديدآور : التوسل عبادة توحيديه من محاضرات محمد سند/بقلم محمدعيسی آل‌مكباس.

مشخصات نشر : قم: سعيدبن‌جبير، ۱۳۸۴، = ۲۰۰۵م، = ۱۴۲۶ق.

مشخصات ظاهری : ۸۸ ص.

شابک : :۹۶۴-۸۷۹۳-۰۱-۸

يادداشت : عربی.

يادداشت : كتابنامه: ص. [۸۵] ؛ همچنين به صورت زيرنويس.

موضوع : توسل.

موضوع : شيعه -- عقايد.

شناسه افزوده : آل‌مكباس، محمد

رده بندی كنگره : BP۲۲۶/۶/س۹ت۹

رده بندی ديويی : ۲۹۷/۴۶۸

شماره كتابشناسی ملی : ۱۱۵۰۲۲۸

## المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم كثيرا ما تطرح مجموعة من الاثارات حول مجموعة من المسائل و الابحاث العقائدية من قبيل التوسل بالاولياء و التوسل بقبورهم و زيارتها، و ما شابه ذلك، حيث يشنع على من يقول هذه الاقوال بل ينسب فى اغلب الاحيان الى الشرك و الكفر، و ذلك نابع من التعجل فى الحكم على الآخرين من خلال الفهم الخاطى لأدلة هذه المسائل و عدم الغور فيها بعمق علمى و بعيدا عن الرواسب و المخلفات التعصبية.

فجاء هذا البحث من لدن سماحة الحجة الشيخ محمد سند ليعالج مسألة من المسائل العقائدية و هى مسألة مشروعية التوسل بالاولياء و الاوصياء، و كان وافيا و دقيقا فى هذا المجال حيث استعرض فيه أدلة المانعين من التوسل بالاولياء و أجاب عنها واحدة واحدة من خلال القرآن و السنة النبوية و أحاديث أهل البيت عليهم السّلام.

و فى الختام نقدم هذا السفر الجليل لمريديه حتى يتضح الحق لأهله و تندفع شبهات المغرضين.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۶

و آخر دعونا ان الحمد للّه رب العالمين، و صلى اللّه على خير خلقه، و صفوة انبيائه و رسله، صاحب الشفاعة الكبرى و الوسيلة فى الدنيا و الاخرة، أبى القاسم محمد و على آله الطيبين الطاهرين الذين اذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

المقرر

محمد عيسى آل مكباس

۱۴۲۴ ه- ۲۰۰۳ م

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۷

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

## توطئة

الحمد للّه الذى يصطفى من عبادة و يجعلهم أبوابا لرحمة، و وسيلة الى رضوانه، و كلمات لمغفرة و التوبة اليه، و اسماء يدعى بهم، و ادلاء يتوجه بهم اليه، و بيوتا اذن ان ترفع يذكر فيها اسمه، و امر باتيانها من ابوابها.

ثم الصلاة و السلام على شفيع الامة، و صاحب الوسيلة الذى امرنا بالمجيء اليه ليستغفر لنا ذنوبنا، و الذى تعرض عليه و على أهل بيته عليهم السّلام أعمالنا، وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ «۱».

كيف لا و قد جعل البارى محبتهم و توليهم سبيلا و وسيلة اليه، فقال:

قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى، «۲»

قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ «۳»

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۸

قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا «۱».

و بعد فان التوسل بالنبى صلّى اللّه عليه و اله و أهل بيته عليهم السّلام و التوجه بهم الى اللّه تعالى فى مقام التوجه الى اللّه تعالى هو من اعظم الأبواب العبادية و القربات الزلفى، فقد فرض تعالى عند التوجه اليه توليه الوجه شطر المسجد الحرام وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ، «۲» و قد بيّن تعالى الحكمة فى ذلك حيث قال: وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ، «۳» و قال سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ. «۴»

ان توليه الوجه شطره هو لجهة الاضافة اليه تعالى و بهذه الملاحظة فالتولية للمشرق او المغرب هو قبلة للتوجه اليه تعالى، و من المعلوم ان وجه اللّه الذى هو ثّم فى التولى للمشرق و المغرب ليس هو الوجه الجسمانى، تعالى اللّه عما يقوله الحشوية المجسمة، بل هو الآية و العلامة التى تؤدى اليه تعالى، و لذلك فرّع

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۹

على استقبال القبلة من جهة انها لله الهداية الى الصراط المستقيم، و من هذه الآيات الكريمة يستفاد ان الهادى و السبيل الى الله تعالى هو مما يتوجه به اليه تعالى، و هو فرض عين فى اقامة الوجه للدين الحنيف، و قد وصف تعالى مودة أهل البيت و توليهم بأنها سبيل اليه، فهم يتوجه بهم اليه تعالى، كما جاء فى زيارتهم عليهم السّلام (و من قصده- تعالى- توجه بكم).

و يتبيّن بذلك ان التوجه بهم و التوسل بهم اليه تعالى فريضة من عظائم الفرائض العبادية و الدينية.

فالبحث فى هذا الباب ليس يقتصر على المشروعية و الرجحان بل يترقى الى بيان فريضته و كبروية هذه الفريضة، و قد قام البحاثة الأريب الدرائى المتتبع الفاضل الشيخ محمد عيسى آل مكباس بضبط ما ألقيناه من البحث حول ذلك بعبارة موجزة مقتضبة ليعم نفعه، كما هو المرجو من العلى القدير، انه خير معين و نصير.

محمد سند

جمادى الآخرة ۱۴۲۴ ه

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۱۱

## تقديم

ان احد أبواب عبادة الله تعالى- نظير الصلاة و الصوم و الدعاء و الذكر و نحوها من أنواع و أجناس و أصناف العبادات- و هو التوسل إليه تعالى بأصفياءه و بالذين أخلصهم بقرباه.

فإن التوسل إليه بهم، نحو زلفى و قربى إليه تعالى، فإن المتوسل يعطف بزمام قلبه إلى وجه الله تعالى، و ان كان (سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ* وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ* قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۱۲

لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ* وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ* الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ* وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). «۱»

فإن القبلة ليست إلّا وسيلة للتوجه بها إليه تعالى، (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ الْكِتابِ وَ النَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ). «۲»

(وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها). «۳»

فالقبلة ليست هى المعبود و انما هى وجهة يتوجه بها إليه تعالى، و من ذلك صار آدم صفى الله قبلة للملائكة و سجودهم لله تعالى فى قوله تعالى (وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) «۴» و من ذلك صارت

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۱۳

بيوت موسى كليم الله تعالى قبلة لبنى اسرائيل فى صلاتهم لله تعالى (وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى وَ أَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) «۱» و من ذلك قوله تعالى (إِذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ)، «۲» (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَ قالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ* وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَ قالَ يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا). «۳»

(لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ). «۴»

و قد روى النسائى و الترمذى فى حديث الاعرابى ان النبى صلّى اللّه عليه و اله علمه قول: يا محمد انى توجهت بك الى الله. «۵»

و روى الترمذى و ابن ماجة حديث عثمان بن حنيف، ان رجلا ضرير البصر أتى النبى صلّى اللّه عليه و آله فقال: ادع الله ان يعافينى، فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله:

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۱۴

إن شئت صبرت فهو خير لك، و إن شئت دعوت، قال: فادعه، فأمره ان يتوضأ و يدعو بهذا الدعاء: اللهم انى اسألك و أتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة، يا محمد انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى ليقضيها، اللهم شفعه فىّ. و رواه النسائى و صححه البيهقى، و زاد:

فقام و قد أبصر. «۱»

و من ذلك يتبين ان التوجه بالنبى صلّى اللّه عليه و اله و الاستشفاع به و الاستعانة به اليه تعالى و تقديمه بين يدى الحاجة اليه تعالى، و توسيطه هى عناوين موازية للتوسل به صلّى اللّه عليه و اله الى الله تعالى، و قد قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَ جاهِدُوا فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)، «۲» و قال تعالى: (وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً). «۳»

فأمر بابتغاء الوسيلة اليه تعالى، و قد عيّن تلك الوسيلة و هى التوجه فى الاستغفار و التوبة و الاوبة بالرسول صلّى اللّه عليه و اله و ان استغفار النبى صلّى اللّه عليه و اله و تشفعه دخيل فى توبة الله تعالى عليهم و رحمته لهم.

و قال تعالى:

(خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۱۵

صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)، «۱» فجعل دعاء النبى صلّى اللّه عليه و اله لهم دخيل فى حصول السكينة و الايمان و الطهارة لهم، و قوله تعالى (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مَثْواكُمْ)، «۲» و هذا نظير ما قاله تعالى فى قصة اخوة يوسف عليه السّلام (قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا وَ إِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ* قالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)، «۳» و قوله تعالى (قالُوا يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ* قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)، «۴» و قوله تعالى فى شأن قوم موسى عليه السّلام (فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ)، «۵» و قوله تعالى فى شأن قوم فرعون مع النبى موسى عليه السّلام (وَ لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قالُوا يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ) «۶»، و قوله تعالى فى شأن النبى عيسى عليه السّلام (اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ)، «۷» و قوله تعالى فى شأن النبى موسى عليه السّلام (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۱۶

قالُوا وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً). «۱»

و الوجيه فى اللغة و المعنى هو ذو الحظوة و القرب مما يتوجه به الى الله تعالى و يتوسل به اليه.

و قال الله تعالى: (وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى)، «۲» المفسر بمقام الوسيلة و الشفاعة، كما فى الدعاء المأثور (اللهم رب هذه الدعوة التامة و الصلاة القائمة آت محمدا (صلى الله عليه و آله) الوسيلة و الفضيلة و ابعثه المقام المحمود الذى وعدته و ارزقنى شفاعته يوم القيامة).

و من ذلك ينجلى ان الايمان بمقام الشفاعة له (صلى الله عليه و آله) يلازم الايمان بالتوسل، لان التوسل به صلّى اللّه عليه و اله ينطوى على تشفعه بقضاء الحاجة لديه تعالى، فالاعتقاد بالشفاعة دليل رجحان التوسل (لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى)، «۳» (لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً)، «۴» فإذنه تعالى فى الشفاعة متطابق مع امره تعالى، (وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)، «۵» أى بالتوسل اليه تعالى بالوسائل الشافعة لديه، فالتوسل و الاستشفاع به صلّى اللّه عليه و اله الى الله هو دعاؤه تعالى، و الوسائل التى اذن تعالى ان يدعى بها هى أبواب

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۱۷

لدعوته جلّ و علا، لا دعوة من دونه.

و روى الحاكم فى مستدركه ان آدم لما اقترف الخطيئة قال: يا ربى اسألك بحق محمد صلّى اللّه عليه و اله لما غفرت لى، فقال: يا آدم كيف عرفت؟

قال: لانك لما خلقتنى نظرت الى العرش فوجدت مكتوبا فيه لا إله إلّا الله محمد رسول الله، فرأيت اسمه مقرونا مع اسمك، فعرفته

أحب الخلق اليك. «۱»

و روى البخارى، عن أنس ان عمر بن الخطاب كان اذا اقحط الناس استسقى بالعباس فقال: اللهم انا نتوسل اليك بنبيك فتسقينا، و انا نتوسل اليك بعم نبيك، و نستشفع اليك بشيبته، فسقوا. «۲»

و روى أحمد بن حنبل ان عائشة قال لها مسروق: سألتك بصاحب هذا القبر ما الذى سمعت من رسول الله؟- يعنى فى حق الخوارج- قالت: سمعته يقول: انهم شر الخلق و الخليقة، يقتلهم خير الخلق و الخليقة، و أقربهم عند الله وسيلة. «۳»

و روى فى كنز العمال عن على عليه السّلام ان يهوديا جاء الى النبى صلّى اللّه عليه و اله فقام بين يديه و جعل يحد النظر اليه، فقال: يا يهودى ما حاجتك؟ فقال: أنت أفضل أم موسى؟ فقال له: انه يكره للعبد ان

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۱۸

يزكى نفسه، و لكن قال الله تعالى (و أما بنعمة ربك فحدث)، ان آدم لما اصابته خطيئته التى تاب منها كانت توبته اللهم انى اسألك بمحمد و آل محمد لما غفرت لى، فغفر له. «۱» و يشير صلّى اللّه عليه و اله الى قوله تعالى (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ). «۲»

و قد اطلق القرآن الكلمة على المقربين عنده تعالى كما فى قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ)، «۳» و قال تعالى (أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ). «۴»

و كيف لا يكون آل محمد صلّى اللّه عليه و اله وسائل الدعاء الى الله تعالى و قد حباهم الله تعالى بالزلفى، و اجتباهم و حظاهم بأنعمه الخاصة، و جعلهم السبيل اليه تعالى، فقال (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى)، «۵» و قال: (قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ)، «۶» و قال:

(قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا). «۷» فمودتهم سبيل اليه، و هم الوسيلة للتوجه اليه تعالى، و قد أبان قربهم اليه من بين الأمة و مزيد عنايته بهم حيث قال: (إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۱۹

عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً). «۱»

ثم لا يخفى ان التوسل و الاستشفاع بالمقربين الى البارى تعالى، هو من آداب الدعاء و التوجه الى الحضرة الالهية، فاننا كما نتوجه بجسمنا فى الصلاة الى المسجد الحرام و الكعبة بقصد التوجه الحقيقى بقلوبنا الى الله تعالى، فليست الكعبة إلّا وسيلة للتوجه اليه تعالى، و من شرائط عبادته تعالى، فهذا يفصح عن دور الوسيلة و الوسائل فى التوجه و الدعاء، مع ان الشأن اينما تولوا فثم وجه الله لكن ذلك لا ينفى خصيصة المسجد الحرام و الكعبة المشرفة، ألا ترى ان البارى تعالى جعل آدم عليه السّلام قبلة لسجود الملائكة مع كون السجود هو لله تعالى، و لم يقبل من ابليس اللعين السجود لله تعالى من دون ان يتخذ آدم قبلة يتجه بها اليه تعالى، و كرر تعالى هذه الواقعة فى سبع سور قرآنية، كل ذلك لاجل ان يبيّن تعالى ان من آداب عبادته تعالى و دعائه التوجه اليه بأوليائه المقربين، و ان هذا الأدب اللازم هو نمط من التعظيم لله تعالى، كما هو الشأن فى الكعبة المشرفة و البيت الحرام، فقد جعل تعالى لهما حرمة و تقديس، و جعل حرمتهما و تعظيمهما من حرمته و تعظيمه، و قال تعالى: (وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ). «۲»

و لا يخفى على الفطن اللبيب ان مقتضى قوله تعالى: (قُلْ لِلَّهِ

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۲۰

الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ* وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ* قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ

شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ* وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ* الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ* وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها). «۱»

و قوله تعالى (وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ). «۲»

ان فعله تعالى و خلقته وجها و آية له تعالى، فان مخلوقية ما فى الشرق و ما فى الغرب، أى ما فى الكون أجمع آيات تتجه بالمتدبر

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۲۱

فيها الى الله تعالى، فهى وجه له تعالى، و القبلة ما يقابل عند الاتجاه، و تولية الوجه جهة القبلة المقابلة بما هى رمز لوجهه تعالى، فكأنا نستقبل بتولية وجوهنا تجاه القبلة وجهه تعالى، اذ الاستقبال و المقابلة انما تحصل بتوجه المستقبل- بالكسر- بوجهه تجاه وجه المستقبل- بالفتح- فآياته الكبرى سبحانه وجه له تعالى، و كذلك كلماته التامات هى آياته، و هى وجهة له تعالى يتجه بها اليه كما مران النبى عيسى عليه السّلام كلمته و آيته (إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ)، «۱» كما وصف بذلك النبى موسى عليه السّلام (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً). «۲» فوجهه تعالى ليس ما يذهب اليه المجسمة الزائغة عن التوحيد من اثبات الجسم و الاعضاء، تعالى الله عن ما يقوله الظالمون علوا كبيرا، بل هو آيات خلقته التامة الدلالة على عظمته و كماله.

و ان التوجه الى أشرف مخلوقاته هو تولية لشطر الوجه نحو وجهه الكريم، و فى رواية الصدوق فى أماليه فى قصة الشاب النباش للقبور حيث كان يبكى على شبابه بكاء الثكلى على ولدها واقفا على باب رسول الله صلّى اللّه عليه و آله، فادخل فسلم فرد صلّى اللّه عليه و آله، ثم قال: ما

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۲۲

يبكيك يا شاب؟ قال: كيف لا ابكى و قد ركبت ذنوبا ان اخذنى الله عز و جل ببعضها ادخلنى نار جهنم و لا ارانى إلّا سيأخذنى بها، و لا يغفر لى أبدا، فاخذ رسول الله صلّى اللّه عليه و آله يسائله عن نوع معصيته هل هى الشرك او قتل النفس او غيرها، الى ان أقر الشاب بجنايته، فتنفر نبى الرحمة من فظاعة جرمه، فذهب الشاب الى جبال المدينة و تعبد فيها، و لبس المسوخ، و غلّ يديه جميعا الى عنقه و نادى: يا رب، هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول، يا رب، أنت الذى تعرفنى، و زل منى ما تعلم يا سيدى، يا رب، انى أصبحت من النادمين، و أتيت نبيك تائبا فطردنى و زادنى خوفا، فأسألك باسمك و جلالك و عظمة سلطانك ان لا تخيب رجائى سيدى، و لا تبطل دعائى، و لا تقنطنى من رحمتك، فلم يزل يقول ذلك أربعون يوما و ليلة، و تبكى له السباع و الوحوش، فأنزل الله تبارك و تعالى على نبيه صلّى اللّه عليه و آله آية فى توبته (وَ الَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ)، «۱» يقول عز و جل:

أتاك عبدى يا محمد تائبا فطردته فأين يذهب و الى من يقصد، و من يسأل ان يغفر له ذنبا غيرى، ثم قال عز و جل: (وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ* أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ). «۲»

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۲۳

فجعل البارى الاتيان الى نبيه و قصده اتيان الى بابه تعالى و قصد اليه، و من ثم قال تعالى فى آية اخرى: (وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً). «۱»

اللهم انا نسألك و نتوجه اليك بنبيك نبى الرحمة، و امام الهدى، و آله المطهرين الذين اذهبت عنهم الرجس، و افترضت علينا مودتهم فى كتابك، صلواتك عليه و آله، يا رسول الله، يا رسول الله، انا توجهنا و استشفعنا بكم الى الله، فاشفعوا لنا عند الله، فانكم

وسيلتنا الى الله، و بحبكم نرجو النجاة، فكونوا عند الله رجانا.

عشّ آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله/ ۱۴۲۴ ه

محمد سند

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۲۵

## شبهة و إثارة

### اشارة

هناك إثارة من قبل بعض أتباع أحد المذاهب الإسلامية، حول مسألة التوسل بالأولياء، سواء كان التوسل بالنبى صلّى اللّه عليه و آله أو بأهل البيت عليهم السّلام، و هم الخمسة من أصحاب الكساء، من قبيل ما يقال فى دعاء الفرج: يا محمد يا على، يا على يا محمد، اكفيانى فانكما كافيان، و انصرانى فانكما ناصران.

و أصحاب هذه الاثارة يعتبرون التوجه و التوسل بالاولياء أيا كانوا حتى و لو كان رسول الله صلّى اللّه عليه و آله شركا فى العبادة، و يستدلون بعدة وجوه على هذا المدعى لاثبات دعواهم.

### أدلة القائلين بعدم جواز التوسل بغير الله تعالى ... ص: ۲۵

أولا: ان الدعاء عبارة عن النداء، و طلب الحاجة عبادة، و هى لا تجوز لغير الله تعالى كائنا من كان، نبيا كان أو وليّا أو ملكا، و الدعاء هو فى حد ذاته عبادة، فيكون دعاء غير الله عز و جل عبادة لذلك

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۲۶

الشخص المدعو.

و الدعاء كما ورد فى الاحاديث هو مخ العبادة و روح العبادة، فالعبادات بمنزلة الجسد، و الدعاء بمثابة الروح و الجوهر، فكيف يسوغ توجيه الدعاء الى غيره تعالى، و كذلك الحال فى الاستغاثة و التوسل بغيره تعالى و الاستنصار بأحد من المخلوقين و الاستعانة به نبيا كان أو وليا أو ملكا أو جنيا أو صنما أو غير ذلك من المخلوقات، و كذلك الحال فى السؤال و الالتماس، و بالتالى اذا وجّه الانسان الدعاء و أراد به غير الله سبحانه و تعالى يكون ذلك نوع شرك فى العبادة، و يعبر عنه بالشرك الصريح أو الشرك الاكبر. «۱»

ثانيا: ان مقتضى قول (لا إله إلّا الله) هو التوحيد فى العبادة، فاذا دعى غير الله عز و جل كان هذا نوع عبادة و تأليه لغير الله عز و جل، و فى توضيحه بلحاظ الفقرة الاولى و الثانية نقول:

اختلف المفسرون و المتكلمون فى معنى (لا إله إلّا الله) هل مؤداها توحيد الذات، أو توحيد الصفات و الاسماء، أو توحيد

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۲۷

الافعال، أو توحيد العبادة، و هذا الاختلاف ناشى من معنى الالوهية و من معنى لفظة الله، حيث ان الله او اسم الجلالة هل هو اسم علم للذات؟ أو اسم مشتق من التأليه؟ فإن كان مشتقا من التأليه فهو باق على المعنى الوصفى، و يكون المعنيان متحدين أو متقاربين أما ان كان فى الاصل علما للذات فيكون الله بالمعنى الاول خلاف المعنى الآخر.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۲۹

### معنى الإله فى اللغة

إله و أصله من أله يأله، أذا تحير، يريد اذا وقع العبد فى عظمة الله تعالى و جلاله و غير ذلك من صفات الربوبية، «۱» أو وله يأله، و هو عبارة عن الوله و التوجه نحو الشى، و قال بعض: و له يأله بمعنى عبد يعبد، و قال آخرون: و له يأله، أى اتخذه ربا و خالقا.

فمفاد (لا إله إلّا الله) توجيه و تركيز العبادة لله سبحانه و تعالى، فاذا توسل أو توجه لغير الله سبحانه و تعالى كان ذلك شرك عبادة.

ثالثا: الاستناد الى آيات عديدة وردت فى القرآن الكريم تنص على ان التوسل و القصد لا يكون إلّا لله عز و جل و بدون أى وسائط حسب مدعاهم منها:

۱- (وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ سَيُجْزَوْنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) «۲» فقوله (فَادْعُوهُ بِها) أى أنه فى مقام الدعاء و التوجه لا يدعو الانسان إلّا باسماء الله، (وَ ذَرُوا الَّذِينَ

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۳۰

يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ) أى ينحرفون عن أسمائه حيث يذكرون اسماء غيره، مثل يا محمد و يا على و ما شابه ذلك.

۲- (وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً). «۱»

۳- (وَ لا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُكَ وَ لا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ). «۲»

۴- (ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ). «۳»

۵- (قُلْ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّي وَ لا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً). «۴»

۶- (وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ). «۵»

۷- (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ). «۶»

۸- (وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ). «۷»

۹- (وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۳۱

اللَّهِ زُلْفى). «۱»

فيعلم من هذه الآيات ان التوحيد فى العبادة و الدعاء و الاستغاثة هو اصل الدين و أساس الملة، و صحة العبادة مشروطة بصحة العقيدة كما قال الله تعالى (وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ)، و قال تعالى (وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ)، فجعل صحة العقيدة بالتوحيد شرطا فى صحة و قبول العبادات.

رابعا: توجيه قوله تعالى (وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) «۲»، بأن المراد بالوسيلة فى الآية الطاعات و القربات، و الاعمال الصالحة التى يتقرب بها العبد الى البارى تعالى.

خامسا: ما ورد فى الحديث أن ابراهيم حين القى فى النار أتاه جبرئيل فقال له: هل لك إلىّ من حاجة؟ فقال إبراهيم: أما اليك فلا، و أما الى رب العالمين فنعم. «۳»

فيستفاد من الحديث ان ابراهيم عليه السّلام يعطينا درسا بأن عرض الحاجة لا يكون إلّا لله سبحانه و تعالى.

هذه مجموعة من الادلة التى استدلوا بها على عدم جواز التوسل بغير الله، و قبل الجواب عنها نقدم و نبين مقولة على عكس مدعاهم

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۳۲

فنقول:

إن نفى هذه الوسائط و الوسائل فى حال التوسل بالله عز و جل هو الشرك بذاته، و ان التوسل و التشفع بهذه الوسائط لقضاء الحوائج هو التوحيد بعينه.

و توضيح ذلك: هو أن هذه الوسائل و الوسائط اذا كانت مجعولة و منصوبة من قبل الله عز و جل فالتوسل و التوجه بها هو التوحيد

التام، أما اذا لم تكن مجعولة من قبل الله فالتوسل بها يكون شركا.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۳۳

## وجه ان من الوسائط ما هو مأمور بها من قبل الله عزّ و جل

و وجه هذه الدعوى بكلا شقيها ان نصب الوسائط و الابواب ان كان من قبل المخلوقين فهو يعد تصرفا فى ارادة الرب، فمن ثم يكون شركا، و لذلك كان الانكار على عبدة الاوثان من قبل الله عبر رسله، لانهم هم الذين جعلوا و اقترحوا لانفسهم وسائط من دون نصب الله عز و جل لتلك الوسائط و الوسائل، فالله تعالى فى انكاره على عبدة الاصنام و الاوثان لم ينكر عليهم أصل فكرة التوسيط، بل انكر الوسائط المقترحة و المجعولة من قبلهم و التى تجاوزا فيها ارادة الرب، و يدل على هذا الامر- و هو عدم انكار اصل الوساطة بل انكار خصوص الوسائط المقترحة من دون الله عز و جل و ان محط الانكار هو اشراك سلطان العبيد مع سلطان الله تعالى- طوائف من الآيات المباركة:

الطائفة الأولى: ما كان بلسان استنكار الاسماء المقترحة من قبل العبيد و هوى انفسهم.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۳۴

۱- (أَ تُجادِلُونَنِي فِي أَسْماءٍ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما نَزَّلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ). «۱»

و قد تقرر فى علم أصول الفقه ان النهى أو النفى اذا ورد على طبيعة مقيدة فانما يقع على القيد لا ذات المقيد، كقولك لا رجل طويل فى الدار، فانه ينفى فى المثال المذكور الصنف و القيد و هو الرجل الطويل، لا ذات الطبيعة المقيدة و هو عموم الرجل.

و فى مجال البحث فى الآية فانها لم تنف أصل الوسائط و الوسائل، و انما نفت الوسائط و الاسماء المقترحة من قبل انفسهم و آبائهم و التى ما انزل الله بها من سلطان، فمصب الانكار كونها من غير اذن و سلطان الهى، أى كونها مقترحة من قبلهم و إلّا فلو كان أصل الوساطة و التوسيط أمر مستنكر فلا معنى لتقييده بقوله تعالى (ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ).

۲- (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ ما تَهْوَى). «۲»

الطائفة الثانية: ما كان بلسان تحقق الاشراك بغير الله من الوسائط بسبب أنه ليس من قبل سلطان الله و ارادته و حكمه.

۱- (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِما أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ما لَمْ

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۳۵

يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَ مَأْواهُمُ النَّارُ وَ بِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ). «۱»

۲- (وَ كَيْفَ أَخافُ ما أَشْرَكْتُمْ وَ لا تَخافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً). «۲»

۳- (وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً). «۳»

الطائفة الثالثة: ان التوسل بالوسائط و الشفعاء بغير سلطان الله و اذنه يوجب عبادة من هو دونه.

۱- (وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَ ما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ). «۴»

۲- (ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ). «۵»

الطائفة الرابعة: ان أخذ التشريع من غيره تعالى شرك فى التشريع و الديانة ان كان من دون اذنه.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۳۶

۱- (أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ). «۱»

۲- (قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ). «۲»

فمصب الانكار على الوثنية و المشركين ليس فكرة الوساطة و التوسيط بل هى تصرفهم من قبل انفسهم بوضع وسائط و اقتراحها بما لم

ينزل اللّه بها من سلطان و لم يأذن بها، فشركهم بمنازعة سلطانهم لسلطان الله تعالى، و هذه الطوائف من الآيات مفسرة لكل آيات الانكار على المشركين و الوثنيين عبدة الاصنام و غيرهم، و أين هذا المعنى من المعنى الذى يتوخاه أصحاب الاثارة و المقالة المذكورة من انكار أصل التوسيط و الوساطة.

أما بالنسبة الى الكلام حول الطوائف الاربع: فنرى فى لسان الطائفة الاولى ان مصب التخطئة للوثنيين انما هو لكون الاسماء التى يدعون بها هى أسماء من وضع أنفسهم و اقتراح منهم على الله ما نزل الله بها من سلطان و لا اذن لهم فيها.

فمدار التخطئة على تحكيم سلطانهم و ارادتهم على سلطان الله و ارادته لا على توسيط الاسماء بينهم و بين البارى عز و جل.

و أما مفاد الطائفة الثانية فإن سبب الوقوع فى الاشراك ليس فى توسلهم بالوسائط بل فى كون تلك الوسائط لم ينصبها الله عز و جل لهم.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۳۷

فالاشراك انما تحقق لتشريكهم ارادتهم مع ارادة البارى عز و جل، حيث لم يجعلوا ارادتهم منقادة لارادة الله عز و جل.

و بالتالى فلا يكون خضوعهم لتلك الوسائط خضوعا لله عز و جل بل خضوعا لهوى انفسهم.

و مفاد الطائفة الثالثة ان الموجب لتحقق عبادة من هو دون الله عز و جل هو ان الخضوع لمن هو دون الله عز و جل من دون امر الله و من دون العلم بكرامته عند الله و وجاهته عنده لا يكون طاعة و لا خضوعا لله تعالى.

و بالتالى لا يكون عبادة لله تعالى بل عبادة للاغيار، و ذلك لان الخضوع للغير اذا كان بأمر الله عز و جل يكون فى الحقيقة خضوعا لله و طاعة له، و الغير ما هو إلّا وسيلة لتحقق الطاعة و العبادة، بخلاف ما اذا لم يكن فى البين أمر منه تعالى.

و مفاد الطائفة الرابعة فى صدد بيان الشرك فى التشريع و انه ايضا هو الآخر انما يتحقق بسبب عدم اذنه تعالى لاستقاء التشريع من تلك الوسائط.

فالمتحصل ان هذه الطوائف الاربع مفسرة لكل الآيات المبطلة لعقيدة الثنوية و الاصنام، و ان جهة الزيغ و الانحراف فيها ليست من جهة أصل فكرة الوسائط و الوسائل و الاحتياج اليها بل من جهة كونها بارادة العبيد و تحكيمها على ارادة الرب و سلطانه.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۳۹

## مفهوم العبادة

ذكر للعبادة فى اللغة عدة معان منها:

۱- مملوكية المنفعة، كقوله تعالى (عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ)، «۱» و قوله تعالى (وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ). «۲»

۲- سيادة الطاعة، و ان لم تكن اصالة للمطاع، كقوله تعالى (أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ). «۳»

۳- الطاعة و الخضوع لمعبود على وجه التقديس، على وجه انه غنى بالذات و مصدر كل النعم و الكمالات، و المستحق بالذات و بالاصالة لذلك، و هو المعنى الاهم من بين تلك المعانى.

فيكون الكلام فى حقيقة العبادة حينئذ عينه الكلام المتقدم حيث ان الوسائط اذا كانت من جعل البارى تكون العبادة للبارى باعتبار

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۴۰

أمره، و ذلك من قبيل سجود الملائكة لآدم عليه السّلام، حيث كانت العبادة هنا المتحققة بالسجود لآدم عليه السّلام هى فى الحقيقة احترام و تعظيم لآدم عليه السّلام و لكنها عبادة لله عز و جل باعتبار الامتثال لامره تعالى.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۴۱

## قصة آدم عليه السّلام مع إبليس

و قد شرح هذه القصة أمير المؤمنين عليه السّلام فى نهج البلاغة فى الخطبة القاصعة، و فى القصة مجموعة من المحاور الهامة إلّا أننا سوف نستعرض منها مسألة سجود الملائكة لآدم عليه السّلام.

و فى البداية نقول: ان القصة قد ذكرت فى عدة سور قرآنية منها:

١- (إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ* فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ). «١»

٢- (وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ). «٢»

فعلى ضوء كلام اصحاب الاثارة يكون امتناع ابليس من السجود لآدم عليه السّلام عين التوحيد، و سجود الملائكة لآدم عليه السّلام عين الكفر و الشرك.

مع ان الامر على خلاف ذلك حيث اصبح الملائكة فى غاية من

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۴۲

القرب من الله عز و جل لامتثالهم لامر الله من خلال سجودهم لآدم عليه السّلام، سواء فسر السجود بمعنى جعل آدم قبلة أو بمعنى الاحترام و التعظيم و الانقياد لآدم عليه السّلام، و اصبح ابليس فى غاية البعد من الله عز و جل و استحق الطرد من رحمة الله لاستكباره على طاعة الامر الالهى، لانه اراد ان يحكم ارادته على ارادة الخالق عز و جل.

ففى الحديث القدسى: قال ابليس لله عز و جل: اعفنى من السجود لآدم و اعبدك عبادة لم يعبدك بها احد قبلى و لا يعبدك بها احد بعدى، فقال الله له: لا حاجة لى فى عبادتك، فانى اريد ان اعبد من حيث اريد لا من حيث تريد.

فإذا حقيقة العبادة الامتثال للامر الالهى و الطواعية و الاذعان، و ليس المدار فى العبادة هو الشكلية فى هيئة و طقوس العبادة، بل المدار فى العبادة و صحتها و التوحيد فيها هو كمال الاستسلام لارادة البارى عز و جل و امتثال امره كما قرر ذلك علماء الكلام و أصول الفقه.

و ههنا يطرح تساؤل و هو ما الفرق فى التوجه لاحجار الكعبة و التوجه للاصنام؟

و يتضح الفرق فى هذا الامر و ليس فى وجود الواسطة و عدمها، إذ فى كلا الموردين الوساطة متحققة، بل فى وجود الامر الالهى و عدمه، حيث يكون التوجه الى احجار الكعبة عبادة بلحاظ الامر

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۴۳

الالهى، و التوجه الى احجار الاصنام شرك و عصيان بلحاظ النهى الالهى.

و هنا يطرح سؤال ايضا و هو قد قلتم ان المدار فى العبادة ليس على وجود الوساطة بل المدار على وجود الامر و عدمه، فهل يعقل ان يأمر الله عز و جل بأن يعبد غيره؟

و كأن المستشكل يريد ان يجعل الضابطة ليس على الامر بل على اسناد الفعل و اضافته و الموجه اليه، و اذا كان كذلك فكيف يأمر بعبادة غيره، و هو ممتنع.

و الجواب: ان المدار فى العبادة على الامر لا غير كما اسلفنا سابقا، و ان الذى يحقق اضافة العبادة الى الله عز و جل او الى غيره هو نفس الامر.

و توضيحه: ان المدار فى العبادة ليس على ايجاد الهيئة و الشكل غير ملابسة و غير متصلة بشى و غير متعلقة و غير متجهة بشىء، بل جوهر العبادة الخضوع و الاستسلام، فنلاحظ مثلا ان الله يأمر بطاعته و الخضوع له لكن باب التوجه له مثلا الكعبة، أو ايجاد السجود الى آدم (عليه السلام).

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۴۵

## نفی الوسائط یؤول الی التجسیم

و هنا مسألة یجدر الاشارة الیها و هی ان القول بنفی الوسائط یؤول الی القول بالتجسیم حیث ان الباری لیس بجسم، فلا یقابل و لا یحاذی و لا یجابه و لا یجسّم بل لا بد من وسائط اخری، و هذا منتف، أو القول بأن الکل أنبیاء سواء فی النشأة السابقة أو النشآت اللاحقة، و هذا منتف ایضا، و الخیار الثالث هو تعطیل الباری عن تدبیر شؤون خلقه، و هذا منتف ایضا، فلا یبقی إلّا القول بالوسائط، و هو وجود الخلیفة فی الارض انطلاقا من قوله (انی جاعل فی الارض خلیفة)، و الخلیفة أعم من النبی و الرسول، و وظیفة الخلیفة الوساطة فی تدبیر شؤون العباد، و حیث لا تعطیل کما ذکر و لا تشبیه فلا یبقی إلّا القول بالتنبأ- نبوة کل فرد- و هو باطل، أو الصیرورة الی القول بالوسائط، و هو المطلوب، حیث انتفت جمیع تلک الوجوه.

و هنا نقطة مهمة لا بد من الاشارة الیها و هی المضمنة فی الدعاء المأثور و هو (اللهم عرفنی نفسک فانک ان لم تعرفنی نفسک لم اعرف رسولک، اللهم عرفنی رسولک فانک ان لم تعرفنی رسولک لم اعرف حجتک،

التوسل: عبادة توحیدیة، ص: ۴۶

اللهم عرفنی حجتک فانک ان لم تعرفنی حجتک ضللت عن دینی).

و مضمون هذا الدعاء ان منظومة المعارف تصح و تکون صائبة بصحة و حقانیة معرفة الانسان بربه، و ان الخلل الناشی فی معرفة الرسول منبعه الخلل فی معرفة الله عز و جل، کما ان الخلل فی معرفة الامام أو الحجة منشأه الخلل فی معرفة الرسول، و الجهل بمعرفة الرسول بالتالی ناشی عن الخلل فی معرفة الله عز و جل.

و یؤید هذا مجموعة من الآیات منها:

۱- (وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلی بَشَرٍ مِنْ شَیْءٍ). «۱» ان هذا الانکار بالرسل ناشی من جهلهم بقدر الباری و عظیم حکمته و تدبیره، و هو ناشی من خلل المعرفة لدیهم فی افعال الباری.

۲- (وَ ما کانَ لِبَشَرٍ أَنْ یُکَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْیاً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ یُرْسِلَ رَسُولًا فَیُوحِیَ بِإِذْنِهِ ما یَشاءُ إِنَّهُ عَلِیٌّ حَکِیمٌ). «۲»

أی علیّ عن التجسیم، و حکیم فی فعله أی لا تعطیل لقدرته سبحانه، فعلی ضوء نفی التجسیم یکون وجه الله لیس الوجه الجسمانی، بل هو الآیة المخلوقة التی تکون من اکبر الآیات التی اذا توجه الانسان الیها أو بها صار متوجها الی الله عز و جل.

فاذا الوسیلة و الوساطة امر برهانی ضروری فی کل النشآت، فالقول بعدم الوساطة یلزم منه اما القول بالتجسیم او القول بالتنبأ او

التوسل: عبادة توحیدیة، ص: ۴۷

القول بالتعطیل، بخلاف القائل بالوسائط المنصوبة من قبله تعالی، فلا یلزمه أی محذور من هذه المحاذیر.

و هذا النظر و الاعتقاد الحق مما امتاز به مذهب اهل البیت علیهم السّلام.

و النقطة الاخری التی ینبغی ان نشیر الیها ان التوسل و الشفاعة و التوسط و الوسیلة تحمل عدم المحوریة الذاتیة للشفیع و الوسیط، أی لیس للوسیط و الشفیع و الوسیلة الاستقلالیة عن الله عز و جل.

فلذلک نری ان الوسائط التی اتخذت من دون الله عز و جل أخفقت فی وساطتها و وجاهتها لانها استقلت عن سلطان الله و ارادته و اذنه.

و الغریب من اصحاب هذه المقالة القول بأن الشفاعة و التشفع بالنبی صلّی اللّه علیه و آله فی الآخرة لیس بشرک، و کذلک التشفع بالنبی صلّی اللّه علیه و آله حال حیاته لیس بشرک، أما التشفع به صلّی اللّه علیه و آله حال موته فهو الشرک.

فیرد علیهم السؤال التالی: ان منطقة الشرک من أین نتجت فی هذا الکلام، هل من حد المعنی أو من الحد التعبدی، أو من خلال

المعنى العقلى؟

فاذا كان المعنى عقليا فالغيرية اذا أوجبت الشرك فانها توجبه فى كل نشأة سواء نشأة الدنيا او الآخرة، و اذا لم توجب الغيرية الشرك لجهة الوساطة، فما الفرق بين انواع التشفع فى الدنيا و الآخرة أو حال الموت أو الحياة؟!

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۴۹

## الرد على أدلة المانعين من التوسل

بعد هذه النقاط التى جعلناها كمقدمة للجواب نجيب على أدلتهم التى جعلوها مانعة من الشفاعة و الوسيلة، فنقول:

الرد على الدليل الأول: انه ينقض على هذا الدليل بطلب الانسان الحى الحاجة من الحى، مثل طلب العلاج من الطبيب، و البناء من البنّاء، و من الزراع اصلاح الزراعة، و غير ذلك.

و قد أتفق المسلمون على ان هذا الطلب فى تعاملات البشر لا يوجب كفرا و لا شركا.

و قد أجابوا على هذا النقض بأمرين:

الأول: بأن سؤال الحى الحاضر بما يقدر عليه و الاستعانة به فى الامور الحسية التى يقدر عليها ليس ذلك من الشرك بل من الامور الاعتيادية الحياتية.

الثانى: ان الامور العادية و الاسباب الحسية التى يقدر عليها

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۵۰

المخلوق الحى الحاضر ليست من العبادة بل تجوز بالنص و الاجماع، بأن يستعين الانسان بالانسان الحى القادر فى الامور العادية التى يقدر عليها، كأن يستعين به أو يستغيث به فى دفع شر كولده أو خادمه أو كلبه و ما اشبه ذلك، و كأن يستعين الانسان بالانسان الحى الحاضر القادر أو الغائب بواسطة الاسباب الحسية، كالمكاتبة و نحوها فى بناء بيته أو اصلاح سيارته، و ما أشبه ذلك، و من ذلك الاستغاثة التى جرت لاحد بنى اسرائيل عندما استغاث بموسى عليه السّلام فى قوله تعالى (فَاسْتَغاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ). «۱» و استغاثة الانسان باصحابه فى الجهاد او الحرب و نحو ذلك.

و أما الاستغاثة بالاموات و الجن و الملائكة و الاشجار و الاحجار فذلك من الشرك الاكبر، و هو من جنس عمل المشركين الاولين مع آلهتهم كاللات و العزى.

دفع الرأيين: أما الكلام فى الامر الاول: فالوهن فيه واضح، حيث ان الغيرية مع الله عز و جل لا تفترق مع الفرد الحى أو الميت، و ليس هناك موجب للفرق.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۵۱

و أما التعلق بالقادر او القدرة، فإن كانت نابعة من الحى بلحاظ الاستقلال بنفسه فهو الشرك الصريح، و اما ان كانت القدرة من الله و مضافة الى المخلوق من قبل الخالق، فأى فرق بين الحى و الميت، و أما تقييد الاستعانة بالامور الحسية فانه ناشى عن أصالة الحس و المادة و التنكر للعوالم المخلوقة التى ما وراء الحس و المادة، و يلزم منه الصيرورة الى كلام الماديين.

و أما الكلام فى الامر الثانى: و قد استدل القائل هنا بالدليل النقلى سواء فى الجواز أو النفى، و هو غير تام، و بيانه ما يلى:

أولا- ان بحث الشرك بحث عقلى، و لو بنينا على أنه نقلى فلا شك ان لادراك العقل فيه مجال، و النصوص الواردة ليست إلّا منبهة للعقل، و اذا كان عقليا فهو فى حكم العقل سيان فى الحى و الميت.

ثانيا: الاستدلال بأن الطلب من الاموات من جنس عمل اصحاب الاوثان، و قد مر ان الانكار القرآنى على اصحاب الاصنام لم يتوجه الى انكار اصل الواسطة بل النكير على التصرف و الجعل الانسانى، و الصيرورة الى سلطان الانسان دون تحكيم سلطان الله عز و جل.

ثالثا: انه اذا جازت الاستغاثة بالحى لقيام النص و الاجماع، أى الاذن الشرعى، فلا فرق إذا فى الاستغاثة بين الحى و الميت مادام المجوز لذلك هو الاذن، و من ذلك يتضح ان المدار ليس على

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۵۲

الغيرية مع الله عز و جل كما فرضه القائل بل على الاذن و عدمه، فاذا وجد الاذن فلا يفرق حينئذ بين الحى أو الميت.

الرد على الدليل الثانى: و هو التمسك بالآيات القرآنية.

و منه قوله تعالى: (وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ). «۱»

ان الاسم عبارة عن السمة و العلامة و الآية، و جملة كثيرة من الاسماء الالهية هى اسماء فعلية مشتقة من أفعاله تعالى، فهى مخلوقة، و هى نفس الآيات و المخلوقات من جهة افتقارها و بما هى مفتقرة للبارى، لا بما هى منفصلة عن الله عز و جل، و لا شك ان افضل المخلوقات و اكرمهم على الله عز و جل محمد صلّى اللّه عليه و آله و آل محمد عليهم السّلام، فرفض الاسماء، و هى الآيات و الوسائط، و عدم التوجه بها يؤدى الى الالحاد به عز و جل بصريح الآية (وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ).

و هناك أمر ثانى فى الجواب: و هو ان الاسم استعمل بمعنى الآية و الكلمة و السمة، و قد اشير الى ذلك فى عدة آيات قرآنية منها:

۱- (وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ). «۲»

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۵۳

۲- (وَ جَعَلْناها وَ ابْنَها آيَةً لِلْعالَمِينَ). «۱»

۳- (إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ). «۲»

۴- (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ). «۳»

فأطلق على عيسى عليه السّلام كلمة من الله.

۵- (أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ). «۴»

۶- (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ). «۵»

۷- (وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ). «۶»

۸- (وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ). «۷»

۹- (وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلًا لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ). «۸»

فكل هذه الاسماء و العلامات و الكلمات يتوجه بها الى الله عز و جل حيث جعلت واسطة فى نيل المطلوب و المراد من قبل الله عز و جل.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۵۴

و الامر الثالث فى الجواب: ما اشار اليه قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ). «۱»

فبين الله تعالى ان دعائهم لا- يستجاب و ذلك بعدم تفتح أبواب السماء لهم من خلال التكذيب بآيات الله المنصوبة من قبله، و الاستكبار عن التوجه بها الى الله، حيث عبرت الآية بالاستكبار عنها لا بالاستكبار عليها، و هذه الآية فى نفس سورة آية دعاء الله تعالى بأسمائه، و هذا التعبير فى الآية بعينه ورد فى حق ابليس فى الآيات الواردة فيه، حيث أبى و استكبر عن التوجه بآدم عليه السّلام فى السجود، و كذب بحجية آدم عليه السّلام و فضيلته فى الخلافة الالهية، فلم يقبل الله أعماله، و لم يزن لها صرفا، و طرد من جوار الله و قربه.

و كذلك ما ورد فى قوله تعالى: (وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ). «۲»

و قوله تعالىَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِما كانُوا بِآياتِنا يَظْلِمُونَ* وَ لَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ قَلِيلًا ما تَشْكُرُونَ* وَ لَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ* قالَ ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۵۵

وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ* قالَ فَاهْبِطْ مِنْها فَما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ). «۱»

فالسياق الواحد مدلل على ان ما فعله ابليس كان انكارا و ظلما لآية من آيات الله عز و جل، و هناك آية اخرى تدل على ان تكذيب الآيات هو تكذيب لله عز و جل و هو قوله تعالى (فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) «۲» حيث ان الآية هنا هم الانبياء و الاوصياء و الوسائط.

الرد على الدليل الثالث: و هو التمسك بقوله تعالى (وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)، و الكلام فى مفاد الوسيلة فى الآية و تحديده، فقد اتفقت روايات الفريقين ان مقام الوسيلة هو مقام للرسول (صلّى اللّه عليه و آله)، و هو المقام المحمود و الشفاعة الكبرى، فابتغاء الوسيلة الى الله هنا يكون بالتوجه بمقام رسول الله (صلّى اللّه عليه و آله)، و الظريف فى تعبير الآية أنه ليس بالصورة التالية (و ابتغونى) أو (ابتغوه) بل الابتغاء اسند الى الوسيلة لكن كطريق و عبور و واسطة اليه تعالى، و بالتالى اذا جازت ان تكون للرسول (صلّى اللّه عليه و آله) شفاعة جاز التشفع به، لان طلب المشروع مشروع، و لا يمكن التفكيك بين المسألتين بأن يكون شافعا و لا يجوز التشفع به.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۵۶

و قد يشكل على هذا: ان الشفاعة المذكورة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خاصة بيوم القيامة أو حال كونه حيا فى الحياة الدنيا، و ان متعلق الشفاعة غفران الذنوب لا غيره من حاجات معاشية كطلب الرزق و الشفاء و ما شابه ذلك، و غير هذه الامور يعد شركا.

## و نجيب على هذا بما يلى:

أما الدعوى الاولى: فان التوسل و التوسط اذا كان شركا فلا فرق فى الحياة و الممات، و على القول بأن الادلة نقليه فهى مطلقة غير مخصصة بالدار الدنيا.

و أما الدعوى الثانية: فلا وجه لها حيث افترض ان متعلق الشفاعة فى الامور الخطيرة الاخروية، و هى غفران الذنوب و النجاة من النار و الدخول للجنة، و هى حاصلة فيها، أما فى الامور الدنيوية البسيطة غير حاصلة، مع ان متاع الحياة الدنيا بجنب الآخرة قليل، و لعمرك ان اصحاب الاثارة غلب عليهم المذهب الحسى المادى، و عظمت المادة فى اعينهم على الآخرة و الامور الاخروية، و هو تفريق بلا فارق، مع ان الشفاعة ليست مختصة بغفران الذنوب بل هى واسعة، تشمل ترفيع الدرجات و المقامات.

الرد على الدليل الرابع: و هو ما يتعلق بقضية ابراهيم عليه السّلام حينما اريد ان يلقى فى النار، و عرض جبرئيل عليه السّلام المساعدة، فنقول:

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۵۷

ان مبدأ المسائلة من جبرئيل عليه السّلام لابراهيم عليه السّلام ما هو إلّا فى مقام الامتحان لايمان و ثبات و رباطة الجأش عند ابراهيم عليه السّلام، و مما يعزز هذا قول ابراهيم لجبرئيل علمه بحالى يغنى عن سؤالى مع ان الدعاء مرغوب فيه على كل حال، و قد توعد الله عز و جل المستكبر عن دعائه، فهل يتوهم ان ابراهيم عليه السّلام خارج عن الادب الالهى، و العياذ بالله تعالى من هذا الوهم، فإذا قوله هذا انما كان لارادة اظهار الثبات و الحزم و عدم الهلع بل الطمأنينة التامة و الكاملة.

و يمكن ان يقال بان ابراهيم عليه السّلام لم يطلب حاجة من جبرئيل لانه افضل منه و لا يمكن التوسل بمن هو ادنى مرتبة بالنسبة للمتوسل.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۵۹

## ملامح من التوسل فى الشعائر العبادية

هناك مجموعة من الشعائر العبادية التى شرعها الشارع المقدس و فى مجموعها حالة من التوسل و التوجه بها الى الله عز و جل و فى صميم المركز التوحيدى و هو بيت الله الحرام حيث يقول تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَ هُدىً لِلْعالَمِينَ* فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً). «۱» ففى الآية مزج بين مسألتين الاولى ان البيت الحرام هو اول بيت وضع للعبادة و للحج، و المسألة الثانية ما يحويه هذا البيت من آيات بينات مثل مقام ابراهيم، و الامان بالنسبة الى داخليه و للحجاج و المعتمرين، فان الحج فى اللغة هو القصد، و فى الشرع هو القصد الى بيت اللّه الحرام، قصدا الى الوفود على اللّه تعالى، فالحج الذى هو ضيافة رحمانية للوافدين و قصد الى الله تعالى جعل مقرونا بآيات الانبياء و الاصفياء، ليكون دليلا و شاهدا على ان التوجه و السير الى اللّه

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۶۰

تعالى يتم بالتوجه بانبيائه و اصفيائه، و التوسل بهم الى الله عز و جل، و ما شابه ذلك، و نحاول ان نتكلم هنا عن هذه الآيات البينات و هى كثيرة:

الاولى: مقام ابراهيم عليه السّلام: قال تعالى (وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى). «۱»

فالتعبير (بمقام) فى قوله تعالى (وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى) عبارة عن التفخيم و التعظيم لذلك المكان، و ذلك لمماسته لجسد ابراهيم عليه السّلام، و من ملامح تعظيمه ان الحاج و المعتمر لابد ان يتوجه اليه فى حال صلاة الطواف ثم الى سمت الكعبة، فاذا كانت الحال هذه فكيف لا يتوجه بنفس ابراهيم عليه السّلام و بشخصه علما بأن حجر المقام ما نال التشريف إلا بابراهيم عليه السّلام، و قد عبر عن المقام و قد جعل آية، فكيف نمنع ان يكون ابراهيم آية، فما هذا إلّا عناد و مكابرة و صد عن آيات الله عز و جل.

الثانية: حجر اسماعيل، و قد ورد فى الروايات ان فيه قبر اسماعيل و أمه و سبعون نبيا، و الملاحظ ان جميع المسلمين يطوفون بالبيت الحرام و يطوفون بهذه القبور، و قد أمر ابراهيم و اسماعيل بتطهير البيت بنص القرآن، مع ان اسماعيل هو الذى جعل قبر أمه فى الحجر، فاذا كان الحال ذلك فى مركز بيت التوحيد، و هو بيت الله

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۶۱

الحرام، أول بيت وضع للناس، فكيف يقال ان الطواف بالقبور عبادة لتلك القبور، و مع كل ذلك يصف البارى عز و جل ان هذه من الآيات البينات و انها هدى للعالمين.

و لسنة أهل الجماعة عدة روايات دالة على ان قبر اسماعيل فى الحجر منها:

۱- الدر المنثور للسيوطى ۳/ ۱۰۳ و قد اخرجه عن ابن عساكر بسنده عن ابن عباس.

۲- الدر المنثور للسيوطى ۱/ ۱۲۶ اخرج عن ابن سعد فى الطبقات و غيره انه لما توفى اسماعيل دفن فى الحجر مع أمه.

الثالثة: المستجار أو الملتزم، و فيه آية بينة مرتبطة بأصفياء الله تعالى و منتجبيه حيث انشق جدار الكعبة لفاطمة بنت اسد عندما ارادت الولادة بالامام على عليه السّلام فى قضية مشهورة معلومة، و هذه آية بينة ظاهرة فى ولادة الامام على عليه السّلام، و استلام المستجار و الملتزم من الكعبة من الشعائر المستحبة بين عامة المسلمين.

الرابعة: السعى بين الصفا و المروة، و فيه آية مرتبطة بأولياء الله تعالى، و قد روى فى قوله تعالى (إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما) «۱» و فى سبب تسمية الصفا و المروة أن آدم لما نزل على الصفا سمى الصفا،

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۶۲

لان آدم كان صفى اللّه، و لما نزلت حواء على المروة سميت مروة، و هى مشتقة من المرأة.

و فی تشریع السعی یذکر انه کان تأسیا بالسعی الذی قامت به هاجر بین الصفا و المروة من اجل تحصیل الماء لابنها اسماعیل.

الخامسة: بئر زمزم، حیث سن الشرب من زمزم بعد الطواف، و قصة نبوع ماء زمزم مشهورة حیث نبع الماء بفعل تحرک و فحص اسماعیل برجله فی حال کونه رضیعا.

الی غیر ذلک من الآیات الاخری کالوقوف بعرفة و المزدلفة ورمی الجمرات و الذبح و سبب تشریعها و تسمیتها، فنلاحظ ان جمیع تلک الاعمال و الشعائر التی یأتی بها الانسان فی بیت التوحید و فی حرم التوحید ما هی إلّا اعمال قد ارتبطت بالانبیاء و الاصفیاء، و نحن عند ما نأتی بها مرتبطة بهم مع کون تلک الاعمال هی نحو من التوجه بهم الی اللّه تعالی، و بذلک نحن نسیر علی وفق خطاهم و نهجهم فی تلک الاعمال و الافعال تطابق النعل للنعل، و هذا مما یدلل علی ان الوفود الیه سبحانه و تعالی لا یکون إلّا بالتوجه و التوسل باولئک الانبیاء و الاولیاء فی الافعال و الاعمال.

التوسل: عبادة توحیدیة، ص: ۶۳

## موارد أخری فی التوسل

و هناک موارد اخری دالة علی التوسل و التشفع و هی کثیرة منها:

الاول: القسم بشخص النبی صلّی اللّه علیه و آله، مع ان القسم بالشی نحو توسیط له و توسل به، و جعله منشأ للتوثیق، و قد ورد القسم بشخصه فی عدة آیات قرآنیة منها:

۱- (لَعَمْرُکَ إِنَّهُمْ لَفِی سَکْرَتِهِمْ یَعْمَهُونَ). «۱»

و لم یرد القسم فی القرآن بعمر أحد غیر خاتم الرسل صلّی اللّه علیه و آله.

۲- (لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ* وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ). «۲»

و الآیة علی کلا تفسیری (لا) زائدة أو نافیة فهی دالة علی تعظیم مقام النبی صلّی اللّه علیه و آله.

۳- (ص وَ الْقُرْآنِ ذِی الذِّکْرِ) «۳» و قد فسر صاد هنا بانه اسم من اسماء النبی صلّی اللّه علیه و آله.

التوسل: عبادة توحیدیة، ص: ۶۴

۴- (ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِیدِ). «۱»

۵- (یس* وَ الْقُرْآنِ الْحَکِیمِ). «۲»

۶- (الر تِلْکَ آیاتُ الْکِتابِ وَ قُرْآنٍ مُبِینٍ). «۳»

۷- (طس تِلْکَ آیاتُ الْقُرْآنِ وَ کِتابٍ مُبِینٍ). «۴»

و قد روی عن الامام السجاد علیه السّلام ان کل اسم جاء بعده قسم بالقرآن أو الکتاب فهو اسم من اسماء النبی صلّی اللّه علیه و آله.

و من المعلوم ان القسم ینبأ عن تعظیم المقسوم به، و هذا مما یدلل هنا علی عظمة النبی صلّی اللّه علیه و آله و وجاهته عند الله تعالی، و بالتالی حظوته و قبول شفاعته، و التشفع به و التوجه به الی الله تعالی.

الثانی: أمر الله بالتوسل بالنبی صلّی اللّه علیه و آله، و قد ورد فی عدة آیات قرانیة منها:

۱- (وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِیماً). «۵»

فأسند المجی الی النبی صلّی اللّه علیه و آله لاـ الیه تعالی، و جعل المجی الی النبی صلّی اللّه علیه و آله مجی الیه تعالی، ثم جعل شفاعة النبی صلّی اللّه علیه و آله بالاستغفار لهم شرط فی قبول الباری توبتهم.

التوسل: عبادة توحیدیة، ص: ۶۵

۲- (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شاوِرْهُمْ فِی الْأَمْرِ). «۱»

۳- (وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ). «۲»

و هذه الآية مشابهة لآية استكبار ابليس عن التوجه بآدم الى اللّه تعالى فى السجود حيث أبى و استكبر و كان من الكافرين، فالذين يستكبرون عن التوسل برسول اللّه و شفاعته لغفران الذنوب و للفلاح و الصلاح و يلوون رؤوسهم، و يصدون عن توسيط الرسول صلّى اللّه عليه و آله لن يغفر اللّه لهم و لا يهديهم لفسقهم بذلك، كما ورد التعبير عن عمل ابليس فى اباءه عن التوجه بآدم عليه السّلام بأن فسق عن أمر ربه.

۴- (وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). «۳»

فالآيات القرانية كلها تشير الى التوسل بالنبى من خلال أمر اللّه عز و جل نبيه بالاستغفار للمؤمنين تارة، و دعوتهم للمجى الى النبى لطلب الاستغفار تارة اخرى، و قد عدّ المتخلف عن المجى الى الرسول صلّى اللّه عليه و آله صادا و مستكبرا عن عبادة اللّه سبحانه و تعالى.

۵- (قالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إِنَّهُ كانَ بِى حَفِيًّا). «۴»

فالآية المباركة ابانت مقام ابراهيم و حفاوته عند اللّه عز و جل

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۶۶

بحيث يكون شفيعا عبر الاستغفار للغير، مع ان الملة الحنيفية التوحيدية هى ملة ابراهيم.

۶- قول موسى عليه السّلام: (قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَ لِأَخِى وَ أَدْخِلْنا فِى رَحْمَتِكَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ). «۱»

۷- قول أبناء يعقوب:

(يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ). «۲»

۸- (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا). «۳»

و هذه الآية تبين وساطة حملة العرش فى غفران الذنوب، و قد روى الفريقان ان حملة العرش فى يوم القيامة هم أربعة من الانبياء اولى العزم، و اربعة من هذه الامة النبى صلّى اللّه عليه و آله و اهل بيته، و لا بد من الالفات الى امر هام بالغ الخطورة، و هو ان الغفران و التوبة يعنى القرب الى اللّه تعالى و الرجوع اليه، فاذا كان طريق الرجوع اليه و هو التوبة من الاوبة هو بالتوجه بمن هو وجيه عند اللّه، فمحصل معنى الآيات هو يا وجيها عند اللّه اشفع لنا عند الله، و انه بالتوجه بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و أهل بيته عليهم السّلام اليه تعالى يحصل القرب و الزلفى.

فنلاحظ فى هذه الآيات ان موسى عليه السّلام يطلب المغفرة لأخيه

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۶۷

هارون عليه السّلام، و ان ابناء يعقوب يتوجهون الى أبيهم ليستغفر لهم ما فرطوا فى حق أخيهم يوسف عليه السّلام، و ان حملة العرش و من حوله يستغفرون للذين آمنوا، و ما ذلك إلّا لوجاهة هؤلاء و قربهم من الله عز و جل حتى اصبحوا وجها يتوجه به الى الله سبحانه و تعالى.

الثالث: التوسل بغير الانبياء و الاولياء، و قد وردت موارد عديدة فى القرآن الكريم منها:

۱- (اذْهَبُوا بِقَمِيصِى هذا فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيراً). «۱»

و فى الآية اشارة الى جواز التوسل و مشروعيته حتى بما يتعلق بالانبياء، فنلاحظ فى الآية ان الشفاء الذى حصل ليعقوب من خلال توسط قميص يوسف، مما يدلل على ان وجاهة الرسل و الاولياء عند الله عز و جل توجب التوجه بهم الى الله تعالى، و انهم محل للشفاعة بل لما هو ادنى من ذلك و هو الشفاء و ما شابهه.

لا يقال: ان هذه قضية خاصة قد جرت ليوسف و يعقوب و لا يجوز تعديتها الى غيرها.

لأنا نقول: ان الاشارة فى الآية كانت الى طبيعى التشفع و التوسل و الاستشفاء، و المورد لا يخصص الوارد، مع ان فى ذيل سورة يوسف (لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى)، فدلل ان ما فى قصصهم عبرة ليستن بها و يؤخذ بها،

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۶۸

و كذلك فى صدر السورة (فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ).

۲- (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ).

«۱»

فقد توسل لاجل احياء ميت بواسطة بعض حيوان و هى البقرة، فاذا كان بعض البقرة و من خلاله جعل واسطة لامر عظيم و هو الاحياء فهل ترى ان التوسط و التوسل بالاولياء فى صغار الامور أو كبارها يعد شركا و كفرا.

۳- (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ). «۲»

فنلاحظ ان التابوت قد حصل على السكينة و البركة لعلاقته بآل موسى و هارون و ما ذلك إلّا لمقام و وجاهة موسى و هارون.

۴- (قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وَ كَذلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي). «۳»

فبينت الآية ان لاثر تراب حصان جبرئيل حيث كان يرشد بنى اسرائيل فى طريقهم فى البحر يبسا هذا التأثير.

الرابع: ما ورد من روايات فى التوسل و التشفع و التبرك برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هى كثيرة منها:

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۶۹

۱- روى البخارى عن الجعيد بن عبد الرحمن قال: سمعت السائب بن يزيد قال: ذهبت بى خالتى الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقالت:

يا رسول اللّه ان ابن اختى وجع، فمسح رأسى و دعا لى بالبركة، و توضأ و شربت من وضوئه. «۱»

۲- روى البخارى عن الحكم قال: سمعت أبا جحيفة قال: خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالهاجرة الى البطحاء، فتوضأ، ثم صلى الظهر ركعتين، و العصر ركعتين، و بين يديه عنزة، و زاد فيه عون عن أبيه، عن أبى جحيفة قال: كان يمر من ورائها المرأة، و قام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم. «۲»

۳- روى البخارى عن عون بن أبى جحيفة، عن أبيه قال:

سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى قبة من ادم، و رأيت بلالا اخذ وضوء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و رأيت الناس يبتدرون ذاك الوضوء، فمن اصاب منه شيئا تمسح به، و من لم يصب منه شيئا اخذ من بلل يد صاحبه. «۳»

۴- روى السمهودى، و المتقى الهندى ان غبار المدينة شفاء من الجذام، و ان غبار المدينة يبرى الجذام، و ان فى غبارها شفاء من كل داء.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۷۰

۵- «۱» روى السمهودى ايضا: ان النبى صلّى اللّه عليه و آله قال: ما لكم يا بنى الحارث روبى؟ قالوا: اصابتنا يا رسول اللّه هذه الحمى، قال: فأين أنتم عن صعيب؟ «۲»

۶- فى سنن ابن ماجة، عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضرير البصر اتى النبى صلّى اللّه عليه و آله فقال: ادع اللّه لى ان يعافينى، فقال: ان شئت اخرت لك و هو خير، و ان شئت دعوت، فقال: ادعه، فأمره ان يتوضا فيحسن وضوءه و يصلى ركعتين، و يدعو بهذا الدعاء (اللهم انى اسألك و اتوجه اليك بمحمد نبى الرحمة، يا محمد انى قد توجهت بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى، اللهم فشفعه فىّ. «۳»

۷- روى البيهقى فى خبر صحيح انه فى ايام عمر جاء رجل الى قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله فقال: يا محمد استسق لامتك، فسقوا.

«۴»

۸- روى النسائى عن عبد اللّه بن عمرو يقول سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، و صلوا علىّ فانه من صلى علىّ صلاة صلى اللّه عليه عشرا، ثم سلوا اللّه لى الوسيلة، فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلّا لعبد من عباد اللّه، ارجو ان

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۷۱

اكون انا هو، سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة. «۱»

۹- روى مسلم، عن عائشة، عن النبى صلّى اللّه عليه و آله قال: ما من ميت تصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مئة، كلهم يشفعون له إلّا شفّعوا فيه. «۲»

۱۰- روى مسلم، عن النبى قال: ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا، لا يشركون بالله شيئا إلّا شفعهم الله فيه. «۳»

۱۱- نقل عبد الله بن احمد بن حنبل فى كتاب العلل و السؤالات قال: سألت أبى عن الرجل يمس منبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يتبرك بمسه و تقبيله، و يفعل بالقبر ذلك رجاء ثواب الله تعالى، فقال:

لا بأس.

۱۲- عن اسماعيل، ابن المنكدر يصيبه الصمات، فكان يقوم و يضع خده على قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله، فعوتب فى ذلك، فقال: يستشفى بقبر النبى صلّى اللّه عليه و آله.

فما ذكرناه من روايات صريحة فى جواز التوسل و التشفع و الاستشفاء سواء بالنبى صلّى اللّه عليه و آله أو بأهل بيته عليهم السّلام أو بالاولياء او بالصالحين او بالبقاع و البلدان كالمدينة المنورة و غيرها، و هى لم تنل

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۷۲

هذه المكانة من الشفاء فى ترابها و غبارها إلّا بشخص النبى صلّى اللّه عليه و آله، فهل بعد كل هذا يبقى مجال للشك فى جواز التوسل و التشفع بالاولياء؟

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۷۳

## موارد عقلية على التوسّل

و هنا نذكر عدة موارد عقلية دالة على جواز التوسل و التشفع و هى:

الأول: ذكر الفلاسفة ان اللّه خالق كل شى لكن خلقه للمخلوقات ليس على رتبة واحدة بل مترتبة، و ذلك ليس لعجز فى البارى، و انما المخلوق منه ما يمتنع فرض ذاته قبل سلسلة من المخلوقات الاسبق منه، و انما المخلوق السابق يكون سببا لتقرر امكان المخلوق اللاحق و سببيته راجعة مآلا- الى تسبيب البارى تعالى، أى ان المخلوق الجسمانى مثلا يمتنع ان يفرض وجوده بلا مادة عنصرية، و بالتالى يكون المخلوق السابق هو افضل و اقرب الى اللّه عز و جل، و يكون بابا للمخلوق اللاحق و وسيلة له.

الثانى: ان طريقة الوفود على أى شخص فى الآداب العقلائية و المتعارف الاجتماعى تكون عن طريق الاستئذان من خلال حجابه او بوابه، و هذا العمل نوع من الاحترام و التعظيم فى الوسط

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۷۴

الاجتماعى بين افراد الانسان، و قد قرر الاسلام هذا النوع من الادب فى كثير من آياته، (و أتوا البيوت من أبوابها)، (إنّ الّذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون)، و رواياته، (أنا مدينة العلم و أنت يا على بابها، فمن اراد المدينة و الحكمة فليأتها من بابها)، بل نرى ان هذا الادب الالهى قد قرره الشارع المقدس فى الوفود على بيت اللّه الحرام، فجعل الاحرام مقدمة للتهيؤ و التعظيم، و

الوقوف بعرفات ثم المزدلفة ثم قضاء التفث مقدمة على زيارة البيت ثانية، فعليه يكون التوجه بالوسائط و الوسائل الى اللّه نوع من انواع الادب الذى يقره العقل و العقلاء فى تعاملهم.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۷۵

## خاتمة فى التوسل

### الوسائط مظهر قدرة البارئ ... ص: ۷۵

قد يطرح هنا سؤال و هو ان الاعتقاد بالوسائط قد يفضى الى اعتقاد عجز البارى سبحانه و تعالى، و مما لا شك فيه ان البارى غنى عن العالمين، لانه اذا اراد شيئا فانما يقول له كن فيكون.

و يجاب عن هذا السؤال بعدة أمور:

الاول: جواب حلى، و هو ان اقدار الله لبعض مخلوقاته لا يعنى الافتقار منه عز و جل، كما لا يعنى اقدار البارى للوسائط استقلالها عن قدرة البارى و إلّا لكانت فى وجودها مستقلة عنه فى مرحلة البقاء، و لاقتصر احتياجها اليه فى مرحلة الحدوث فقط، و هذه مقولة بعض المعتزلة، و العياذ بالله تعالى منها، بل المخلوقات كما هى محتاجة فى وجودها حدوثا هى محتاجة فى وجودها بقاء الى البارى، و لو قطع البارى عنايته لحظة او فى اقل من اللحظة عنها لبطلت و انعدمت و صارت فانية، فكذلك المخلوقات فى قدراتها

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۷۶

على ما يصدر منها من افعال لا تستقل عن قدرة البارى تعالى حدوثا و بقاء، و من ذلك يظهر ان القائل بحصر تخليق الله تعالى للخلق عن طريق الابداع فقط التزم بذلك لتوهمه بأن التخليق من المادة المخلوقة سابقا مثلا هناك شراكة فى التخليق من الله و من المادة، و ان المادة مستقلة فى عرض البارى، و العياذ بالله، و هذا الوهم جهالة، بل هو نوع من التوسيط بينه و بين مخلوقاته عبر اوليائه و مقربيه الذين اصطفاهم و جعلهم ابوابا لرحمته و محلا لنيل شفاعته.

الثانى: جواب نقضى، و هو ان نقرب اشكالهم ببيان فلسفى و هو ان كل فعل من افعال البارى لا بد ان يكون حسب مدعاهم ابداعى أى بلا- واسطة بل من البارى مباشرة، فكل ما كان غير ابداعى يكون عجزا من البارى، إلّا اننا نشاهد اكثر الموجودات مخلوقة غير ابداعية بل كانت مخلوقات بتوسط اسباب.

فهذه المخلوقات التى نشاهدها اما ان ننسبها للبارى بتوسط الوسائط، فيكون العجز حسب ما ادعوا، و اما ان لا ننسبها للبارى لانها مخلوقات غير ابداعية يعنى ليست بكن فيكون، فتكون المشكلة اعظم حيث تجرد نسبة هذه المخلوقات عن الله عز و جل.

و عند ما يقال بتوسط شى فى مخلوقاته لا يستوجب بالضرورة نسبة العجز للبارى، بل الاشياء مفتقرة اليه، و فى كل الاحوال تلك الاشياء لا تنفك عن قدرة وارادة البارى، بل هى مرتبطة و مفتقرة الى

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۷۷

البارى وارادته فى كل الاحوال و الازمان.

الثالث: وجود طوائف من الآيات القرآنية دالة على وقوع التخليق من الله عبر الوسائط من ملائكة و رسل و غير ذلك و هى:

الطائفة الأولى: وفاة الانفس و فيها عدة اسنادات:

الأول: الاسناد فى وفاة الانفس الى الملائكة

۱- (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ). «۱»

۲- (حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَ هُمْ لا يُفَرِّطُونَ). «۲»

۳- (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ). «۳»

۴- (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ). «۴»

۵- (حَتَّى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ). «۵»

۶- (وَ لَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبارَهُمْ وَ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ). «۶»

۷- (فَكَيْفَ إِذا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبارَهُمْ). «۷»

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۷۸

۸- (وَ لَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَراتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ). «۱»

ففی مجموع الآيات نلاحظ ان الله سبحانه و تعالى قد نسب و اسند وفاة الانفس الى الملائكة فهل هذا يعنى ان اللّه عاجز ان يقبض ارواح العباد بنفسه، فليس هذا العمل إلّا من باب التوسيط فى شؤون مخلوقاته لا غير.

الثانى: الاسناد فى وفاة الانفس اليه سبحانه و تعالى

۱- (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها). «۲»

۲- (وَ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَ يَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ). «۳»

۳- (وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ). «۴»

۴- (وَ لكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ). «۵»

الثالث: الاسناد فى وفاة الانفس الى ملك الموت

۱- (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ). «۶»

الطائفة الثانية: تصريح البارى بإيكال بعض الامور الى بعض مخلوقاته من غير ان يكون ذلك تفويض عزلى تنعزل فيه قدرة

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۷۹

البارى فان الاشياء جميعها قائمة بقدرته حدوثا و بقاء.

۱- (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ).

۲- (فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ). «۱»

۳- (وَ ما لَنا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَ قَدْ هَدانا سُبُلَنا). «۲»

فهذه الوكالة من الله ليس هى عزل لقدرة الله سبحانه و تعالى، فاننا نرى فى الموكل الاعتبارى حينما يوكل شخصا لا ينعزل باعطاء الوكالة تماما، فكيف بالمولى و الموكل الحقيقى سبحانه و تعالى علوا كبيرا، فليس توكيل و تفويض عزلى تنحسر فيه قدرة البارى عن الفعل الموكل فيه بل الاشياء برمتها قائمة به تعالى، و هو قيوم على كل شى فضلا عن افعال الاشياء.

الطائفة الثالثة: الدالة على توسيط بعض المخلوقات فى الخلق، و هو توسط الماء فى خلق كثير من المخلوقات كالنبات و الانسان و ما شابه ذلك.

۱- (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَ السَّماءَ بِناءً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ). «۳»

۲- (وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۸۰

شَيْءٍ). «۱»

۳- (وَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ). «۲»

۴- (وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ). «۳»

۵- (وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ). «۴»

۶- (وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ). «۵»

۷- (وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلا يُؤْمِنُونَ). «۶»

۸- (وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ). «۷»

۹- (وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً). «۸»

الطائفة الرابعة: اسناد كثير من الافعال الى المخلوقات ۱- (أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ).

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۸۱

فأسند الخلق «۱» هنا الى اليد و هى القدرة المخلوقة المباشرة للمادة المخلق منها الانعام، و هى غير الذات الالهية.

۲- (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى* الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى). «۲»

و اسند الخلق هنا الى اسم الرب و هو غير الذات الالهية ايضا.

۳- (وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ). «۳»

و ليس المراد من الوجه جزء الذات كما يتوهمه المجسمة الحشوية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، بل المراد منه الآية الكبرى الدالة على عظمة الذات الالهية، فأينما تولوا فثم وجه الله، و قد اطلق على البيت الحرام و الكعبة القبلة أنها وجه الله فى سياق آيات سورة البقرة التى تتحدث عن القبلة (وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)، و قال: (فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ).

۴- (وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً). «۴» و هنا اسند تسيير الجبال و تقطيع الارض و تكليم الموتى أى احياء الموتى الى القرآن.

الطائفة الخامسة: ما عبر عنها بالملك لغير الله مع عدم الاعتزال عن الله و قدرته و لا عن امداده و توسيطه.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۸۲

۱- (وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً). «۱»

ذكر تعالى ذلك عن آل ابراهيم و من البيّن عدم ارادة ملك الرئاسة الاجتماعية السياسية، اذ لم يقع ذلك فى التاريخ، بل المراد الملك اللدنى الايتائى أى فى الملكوت، نظير ما قاله تعالى (وَ كَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ)، و (ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً)، و (وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا)، و الحديث عن اسماعيل و اسحاق و يعقوب يهدون بأمر الهى ملكوتى.

۲- (قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي). «۲»

۳- (وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً). «۳»

۴- (وَ شَدَدْنا مُلْكَهُ وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ). «۴»

۵- (وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً). «۵»

۶- (قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ). «۶»

۷- (وَ نادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ). «۷»

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۸۳

فوصف خازن النيران الملك الموكّل بالنار و طبقاتها بمالك.

۸- (وَ الْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ). «۱»

الحمل بمعنى العلم لا ان القدرة الالهية تقع مفعولة محتاجة، و العياذ باللّه تعالى عما يقوله المجسمة الحشوية.

۹- (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ). «۲»

فجعل الظهارة و الاعانة لجبرئيل و صالح المؤمنين عليا عليه السّلام و الملائكة مع انه تعالى قيوم على جبرئيل و صالح المؤمنين و على الملائكة إلّا انا بيان لوسائط قدرته تعالى، كما قال تعالى (هُوَ الَّذِی أَیَّدَکَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِینَ) «۳» مع انه تعالى قال: (وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)، «۴» و قال: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ یَنْصُرْکُمْ وَ یُثَبِّتْ أَقْدامَکُمْ). «۵»

۱۰- (إِذْ تَسْتَغِیثُونَ رَبَّکُمْ فَاسْتَجابَ لَکُمْ أَنِّی مُمِدُّکُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِکَةِ مُرْدِفِینَ). «۶»

۱۱- (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِینَ أَ لَنْ یَکْفِیَکُمْ أَنْ یُمِدَّکُمْ رَبُّکُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِکَةِ مُنْزَلِینَ). «۷»

۱۲- (هذا یُمْدِدْکُمْ رَبُّکُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِکَةِ مُسَوِّمِینَ). «۸»

الطائفة السادسة: ما ذكر فيها نسبة الاهلاك الى نفسه سبحانه

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۸۴

و تعالى أو الى بعض مخلوقاته

۱- (وَ لَقَدْ أَهْلَکْنا ما حَوْلَکُمْ مِنَ الْقُری وَ صَرَّفْنَا الْآیاتِ لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ). «۱»

۲- (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِکُوا بِالطَّاغِیَةِ). «۲»

۳- (وَ أَمَّا عادٌ فَأُهْلِکُوا بِرِیحٍ صَرْصَرٍ عاتِیَةٍ). «۳»

۴- (وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِیمَ بِالْبُشْری قالُوا إِنَّا مُهْلِکُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْیَةِ). «۴»

۵- (فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَیْهِ حاصِباً وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّیْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا). «۵»

الطائفة السابعة: الاسناد الى الرياح فى انشاء بعض الخلق.

۱- (وَ أَرْسَلْنَا الرِّیاحَ لَواقِحَ). «۶»

۲- (اللَّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً). «۷»

۳- (وَ هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ). «۸»

۴- (وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ یُرْسِلَ الرِّیاحَ مُبَشِّراتٍ). «۹»

۵- (وَ اللَّهُ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً). «۱۰»

و بهذا نختم ما أردنا رسمه فى هذا البحث، و الحمد للّه رب العالمين، و صلى اللّه على محمد خير خلقه و آله الطيبين الطاهرين الذين اذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا. «۱۱»

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۸۵

## مصادر البحث


۱- القرآن الكريم

۲- تربة الحسين دراسة و تحليل، ج ۱، الشيخ عبد الرسول آل درويش.

۳- سنن ابن ماجه للحافظ أبى عبد اللّه محمد بن يزيد القزوينى، دار احياء التراث العربى، ۱۹۷۵ م.

۴- سنن البيهقى.

۵- سنن النسائى، دار الكتب العلمية، بيروت.

۶- صحيح البخارى، دار الاحياء التراث العربى بيروت، ۲۰۰۱ م.

۷- صحيح مسلم، دار ابن حزم، بيروت، ۲۰۰۲ م.

۸- كنز العمال للفاضل الهندى.

۹- منهاج الرشاد لمن اراد السداد، الشيخ جعفر كاشف الغطاء، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، ايران، ۲۰۰۰ م.

۱۰- النهاية فى غريب الحديث و الاثر، للامام مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى، اسماعيليان، ايران، ۱۳۶۴ هجرى شمسى.

۱۱- وفاء الوفا للسمهودى.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۸۷

## فهرس المطالب

كلمة المقرر ۵

توطئة ۷

مقدمة ۱۱

شبهة و اثارة ۲۵

معنى الاله فى اللغة ۲۹

وجه ان الوسائط ما هو مأمور بها من قبل اللّه ۳۳

مفهوم العبادة ۳۹

قصة آدم عليه السّلام مع ابليس ۴۱

نفى الوسائط يؤول الى التجسيم ۴۵

الرد على أدلة المانعين من التوسل ۴۹

الرد على الدليل الاول ۴۹

الرد على الدليل الثانى ۵۲

الرد على الدليل الثالث ۵۵

الرد على الدليل الرابع ۵۶

ملامح من التوسل فى الشعائر العبادية ۵۹

موارد اخرى فى التوسل ۶۳

الأول: القسم بشخص النبى صلّى اللّه عليه و آله ۶۳

الثانى: امر اللّه التوسل بالنبى صلّى اللّه عليه و آله ۶۴

الثالث: التوسل بما يتعلق بالانبياء كثيابهم ۶۷

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ۸۸

الرابع: روايات التوسل و التبرك بالنبى صلّى اللّه عليه و آله ۶۸

موارد عقلية على التوسل ۷۳

خاتمة فى التوسل ۷۵

اشكال و جواب الاشكال فى عدة أمور ۷۵

الجواب الأول: و هو جواب حلّى ۷۵

الجواب الثانى: و هو جواب نقضى ۷۶

الجواب الثالث: الآيات القرآنية الدالة على جواز التخليق من اللّه عز و جل عبر الوسائط من ملائكة و ورسل و هى طوئف ۷۷
الطائفة الأولى: وفاة الانفس و فيها عدة اسنادات ۷۷
الطائفة الثانية: تصريح بعض الآيات القرآنية على ايكال البارى بعض الامور الى مخلوقاته ۷۸
الطائفة الثالثة: تصريح بعض الآيات القرآنية على توسيط بعض المخلوقات فى الخلق ۷۹
الطائفة الرابعة: اسناد بعض الافعال الى مخلوقات ۸۰
الطائفة الخامسة: ما عبر عنها بالملك لغير اللّه مع عدم الاعتزال عن قدرته و امداده و توسيطه ۸۱
الطائفة السادسة: نسبة الاهلاك الى اللّه عز و جل أو الى بعض مخلوقاته ۸۳
الطائفة السابعة: الاسناد الى الرياح فى انشاء بعض الخلق و تخليقه ۸۴
مصادر البحث ۸۵
فهرس المطالب ۸۷

## تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...
– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.
– من الأنشطة الواسعة للمركز:
الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة
ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التـّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التـّمكـّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹